

كايات كليلة ودمنة
15
قلب القرد
بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة: أ. عبد الشافى سيد
إشراف: أ. حمدى مصطفى
طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



يُحكى أنَّ مَجْموعةً من
الْقِرَدَةِ كانَتْ تَعيشُ في جُزُرِ جَزيرةٍ
يُقالُ لها : (جزيرةُ الْقُرُود) ..

وكانَ في الْجزيرةِ قِرْدٌ قَوِيٌّ يُسَمَّى الْقِرْدُ
(ماهِر) ..

كانَ (ماهِرٌ) قِرْدًا ذَكِيًّا شُجاعًا فاخْتارَتْهُ الْقُرودُ مَلِكًا عَلَيْها ..

وقَدْ ظَلَّ (ماهِرٌ) يَحْكُمُ بَيْنَ الْقُرودِ في الْجَزيرَةِ بِالْحَقِّ والْعَدْلِ لِسَنواتٍ طَويلَةٍ ، حتى تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ ، فَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ ، وعَجَزَ عَنْ إدارَةِ شُئُونِ الْجَزيرَةِ ..

وذاتَ يومٍ وَثَبَ قِرْدٌ قَوِيٌّ شابٌّ على الْقِرْدِ (ماهِر) وتَبارَزَ مَعَهُ ، فَهَزَمَهُ ، ونَصَّبَ نَفْسَهُ مَلِكًا لِلْقُرودِ بِالْقُوَّةِ ..

ولَمْ يَحْتَمِلِ الْقِرْدُ (ماهِرٌ) مَرارَةَ الْهَزيمَةِ ، ولا الْبَقاءَ في (جزيرةِ الْقُرودِ)



بعدَمَا حدثَ لهُ ، فخرجَ هائمًا على وجْهِه ، واستَمرَّ فى سَيْرِه ، حتى وصَلَ إلى ساحلِ الْبَحْرِ ، فرأَى شجَرةَ تينٍ عمْلاقَةً ، فاتَّجهَ إليْها وتسلَّقهَا حتى صَعدَ إلى قمَّتِها ، وراحَ يقْطِفُ ثمَارَ التِّينِ الشَّهِيَّةَ ويأْكلُ منْها حتى شَبِعَ .. ثم قالَ فى نفْسه :

ـ هذة الشَّجرةُ تُشْرِفُ على الْبَحْرِ والسَّاحلِ ، وهى مليئةٌ بالثِّمارِ اللذيذَة .. سوْفَ أتَخذُها مقرًا لى أقيمُ فيه . . .

وأقامَ الْقِردُ فوْقَ شجرَةِ التِّينِ عدَّةَ أيَّامٍ ..

وذاتَ يومٍ كانَ الْقِردُ جالسًا فوْقَ شجرَةِ التِّينِ ، ومُنْهمكًا فى أكْلِ التِّينِ ، فسَقطتْ منْ يده تينةٌ فى الماء ، فسَمعَ لهَا صوْتًا أطْربَهُ ، وأخذَ يأكلُ تينةً ويُلْقى بأُخرى فى الْماءِ ، وهوَ مُعْجبٌ بعملَه هذا الذى وجدَ فيه تسْليَةً فى وحدته . . .

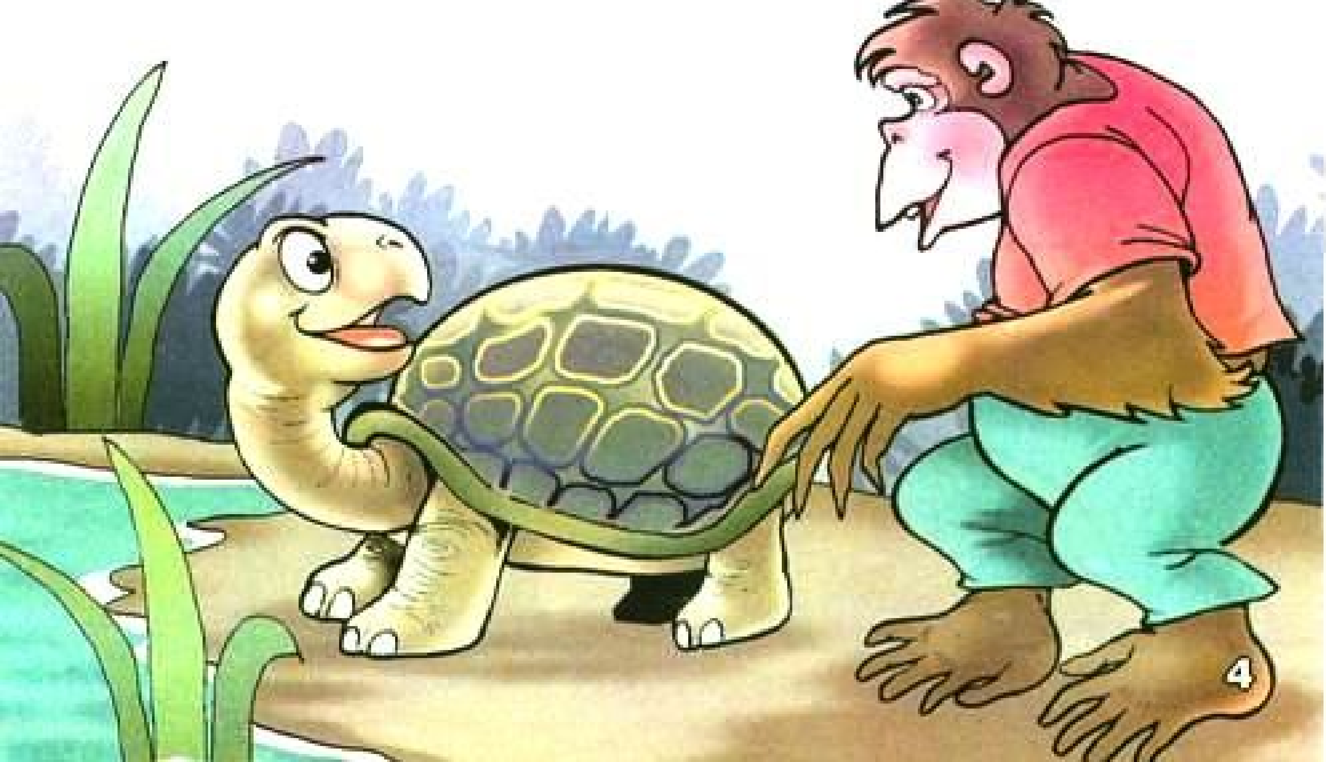
وفى ذلكَ الْوَقْتِ تصَادفَ وجُودُ سُلَحْفاءُ فى الْماءِ ، فأخذَ التِّينَ الذى يُلْقى به الْقردُ ، وهو يَظُنُّ أنَّ القِرْدَ يلْقى لهُ بالتِّينِ ، حتى يأكُلَ مثْلَهُ ..

وأُعْجِبَ السُّلَحْفاءُ بالْعملِ الذى قامَ به الْقردُ من أَجْله ، وقامَ بتَوْجيهِ الشُّكْرِ لهُ قائلاً :

ـ لا أَستَطيعُ أَنْ أوَفِّيكَ حقَّكَ من الشُّكْرِ على هذَا التِّينِ اللَّذيذِ ، الذى أطْعَمْتَنى إِيَّاهُ أَيهُّا الْقِردُ الطَّيِّبُ ..

فنَظرَ إليْهِ القردُ قائلاً :

ـ لمْ أفْعَلْ ما يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ أيهَا السُّلَحْفاءُ الْمُجاملُ الوَدودُ ..





فقالَ السُّلَحْفاءُ :

ـ لقدْ أطْعَمْتَنى التِّينَ اللَّذيذَ ، الذى لمْ أَحْلَم بالْوصُولِ إلَيْه يوْماً من الأيامِ ، وكَيْفَ أصلُ إليْه فى أَعْلَى الشجَرةِ والسَّلاحِفُ كمَا تعْلَمُ عاجزةٌ عنْ تسلُّقِ الأشْجار ؟!

فقالَ الْقِردُ فى لَهْجَة صادقَة :

ـ كُلمَا اشْتَهَيْتَ أكْلَ التِّينِ ، تعَالَ إلى هُنا ، وأنا أُطْعِمُكَ منْه ما تَشَاءُ . .

وصارَ السُّلَحْفاءُ يتْرُكُ بيْتَهُ كلَّ يوْمٍ ويأتِى إلى أَسْفَلِ تلْكَ الشَّجرة ، فيُلْقِى إليْه القِرْدُ بالتِّينِ ، فيأكُلُ حتَّى يشْبع . .

وخلالَ ذلكَ كانتْ تَدورُ بينَهُما أحَاديثُ لطيفَةٌ ، فنَشأَت صَداقَةٌ قَويَّةٌ بيْنَ الْقِرْدِ والسُّلَحْفاء ،

وصارَ كلٌّ منهُما لا يستطيعُ مُفارقةَ الآخرِ ، أو الاستغناءَ عنْهُ لحظةً ..

وبمُرورِ الأيَّامِ صارَ السُّلَحْفاءُ يقضِي مُعظَمَ وقْتِهِ خارجَ بيْتِهِ فى صُحْبَةِ صديقِه القِرْدِ ..

تضايقَت السُّلَحْفَاءُ الزَّوْجَةُ من غيْبةِ زوْجِها عنْها ، وعن أبْنائه ، وهىَ لا تعلَمُ أنَّهُ يقْضى مُعْظَمَ الوَقْتِ فى صُحْبَةِ صديقِه القِرْد ..

وشكَتْ زَوْجَةُ السُّلَحْفاء إلَى جارَتِها طُولَ غيابِ زوْجِها عنِ البيْتِ ، وعدمَ مشاركَتِه فى مسئوليَّةِ البيْتِ وتربيةِ الأبْناء ، وأنَّها تخْشَى أنْ يأتِيَ اليوْمُ ، الذى يهجرُ فيهِ زوجُها البيْتَ إلى الأبدِ ..



فقَالتِ الْجارَةُ :

ـإنَّ زَوْجَكِ يَقْضِى النَّهارَ كلَّهُ على شاطئِ الْبَحْرِ ، تَحتَ شجَرة التِّينِ مع صَديقه الْقرْدِ ، الذى يُطْعِمُه ثمارَ التِّينِ ، وإذا استَمرَّ الْحالُ على ذلكَ فقدْ يهجُرُ زوجُكِ الْبيْتَ إلى الأبَدِ ولايَعودُ إليكِ أبَداً ..

فقالتْ زوْجَةُ السُّلَحْفاءِ :

ـوماذَا أفْعلُ حتى يعودَ زوجى إلى بَيْتِه ، ويَكُفَّ عنْ تضْييعِ وقْتِه فيما لا يَنْفَعُ ؟!

فقالَتِ الْجارةُ :

ـيجبُ أنْ تُفكِّرى فى حِيلَةٍ لِهلاَكِ الْقرْدِ ..



فقالت الزوْجَةُ :

ـ وكَيْفَ أحتَالُ لهلاَكِ القِرْدِ ؟!

فَقَالَت الْجارَةُ في مَكْرٍ ودَهَاء :

ـ عنْدما يَعُودُ زوْجُكِ إلى الْبيْتِ في أىِّ وقْتٍ ، يجبُ أنْ تتظاهري أمامَهُ بالْمَرَضِ ، فإذا سألكِ عنْ حالكِ ، فقُولى له إنَّنى مَريضَةٌ بمرضٍ خطيرٍ ، وقدْ وصَفَ لى الحُكَماءُ والأَطِبَّاءُ قلْبًا ، وإلاَّ مُتُّ . .

فقالَت الزوْجَةُ :

ـ هذا أمْرٌ في غايةِ الْبَساطَةِ . . سوْفَ أُنَفِّذُ ما نَصَحْتِنِي بهِ ، وأرى ماذا تكون النتيجَةُ . .

وفى الْيَوْمِ التَّالى عادَ السُلَحْفَاءُ إلى الْبَيْتِ ، فوجَدَ زوْجَتَهُ فى حَالٍ سَيِّئَةٍ ، وقدْ لَزِمَت الْفِراشَ ، والهَمُّ ظاهِرٌ على وجْهِهَا ، وعنْدَهَا جارَتُهَا تَقُومُ بتمْرِيضِهَا ، فجزِعَ لذلكَ أشَدَّ الْجزَعِ ، وتقدَّمَ من زوجته قائلاً :

ـ مالى أراكِ حزينةً مهمومةً وملازمةً للفراشِ هكذا ؟! وقبلَ أنْ تنطقَ الزوجةُ بحرفٍ واحدٍ سارعتْ جارتُها إلى الكلامِ قائلة :

ـ إنَّ زوجتَكَ المسكينةَ مريضةٌ بمرضٍ خطيرٍ ، وقدْ تموتُ بسببه ، إذا لمْ تحضرِ الدَّواءَ الذى وصفهُ لها الأطبَّاءُ والحُكَماءُ فورًا ..

فقالَ السُّلحْفاءُ فى لهجةٍ صادقة :

ـ قولى لى : ما اسمُ هذا الدَّواءِ ، الذى وصفهُ الأطبَّاءُ والحكماءُ ، وأنا أُسارعُ بإحضارِهِ فورًا ..

فقالت الجارةُ :

ـ لقدْ وصفَ لها الأطباءُ والحُكَماءُ قلْبَ قِرْدٍ ، وليْسَ لها دواءٌ سواهُ ..

فقالَ السُّلحْفاءُ :

ـ هذا أمرٌ عسيرٌ جدًا .. من أيْنَ لنا بقلْبِ قِرْدٍ ، ونَحْنُ فى الْماءِ ؟!

فقالت الْجارَةُ بلَهْجةٍ ذات مَعْنى :

- لكَ صَديقٌ قِرْدٌ ، ربَّما دبَّرَ لك هذا الأمْرَ ..

فقالَ السُّلَحْفاءُ :

- سَأحاوِلُ أَنْ أَحْتالَ عليْه ..

وانْطَلَقَ السُّلَحْفاءُ إلى ساحِلِ الْبَحْرِ في الْيَوْمِ التَّالي ، فلمَّا رآهُ الْقِرْدُ فرِحَ بعوْدَتِه ، وقالَ له :

- ما الذى أخَّرَكَ عنِّى يا أخي هَكذا ؟ !

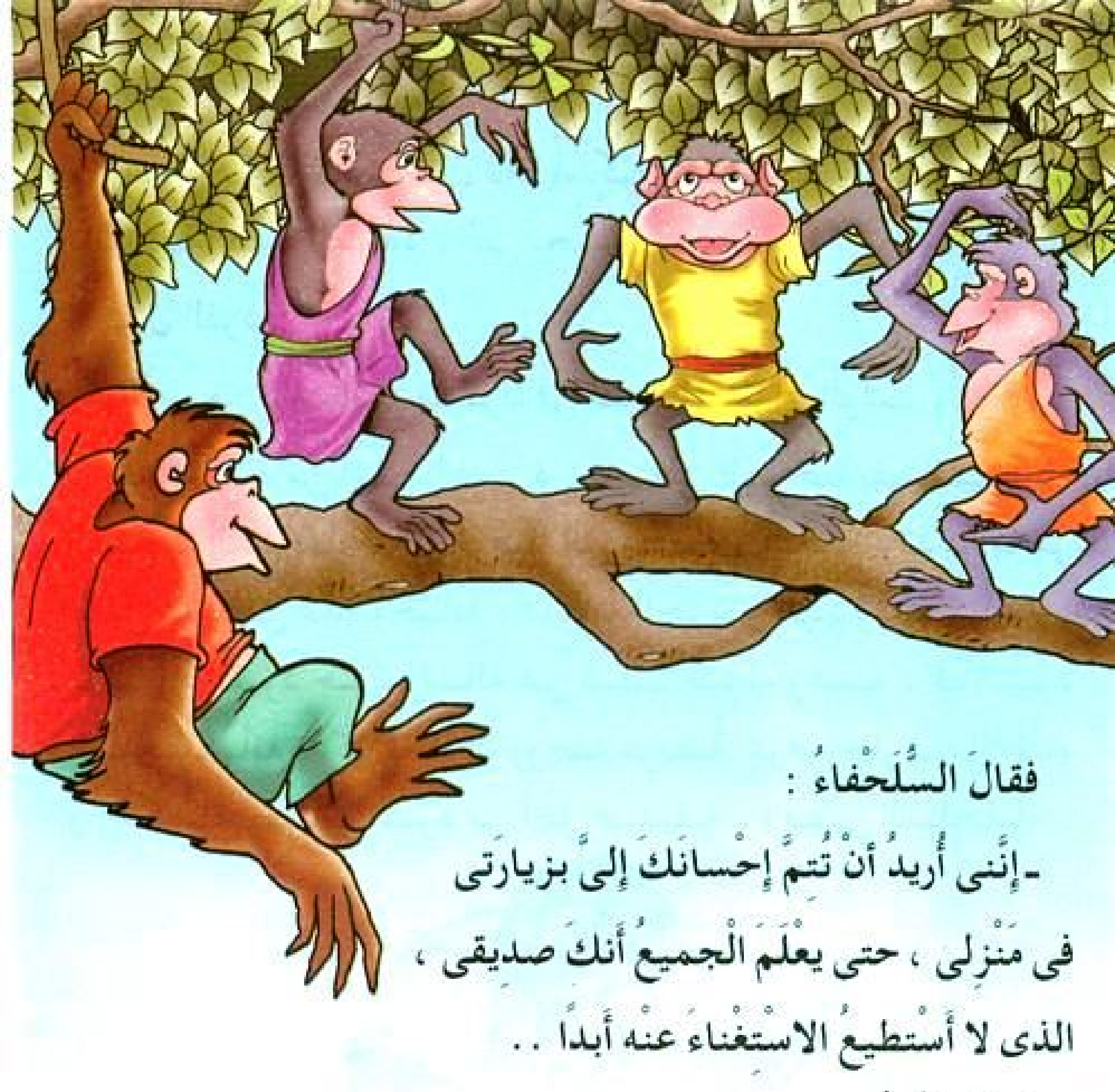
فقالَ السُّلَحْفاءُ :

- ما أخَّرنى عنْكَ إلاَّ خجلى وحَيَائى منْكَ ، لأنَّنى لا أعْرِفُ كيْفَ أجازِيكَ على إحْسَانِكَ إلىَّ ..

فقالَ القِرْدُ :

- ليس بيْنَ الأصْدقاءِ هذا الْكَلامُ ..





فقالَ السُّلَحْفاءُ :

- إنَّنى أُريدُ أنْ تُتِمَّ إِحْسانَكَ إلَيَّ بزيارَتى في مَنْزِلى ، حتى يعلَمَ الْجميعُ أنَّكَ صدِيقى ، الذى لا أَسْتطيعُ الاسْتِغْناءَ عنْه أَبدًا . .

فقالَ القِرْدُ :

- سيكونُ ذلكَ من دَواعِى سُرُورِى وبَهجَتِى ، ولكنْ كيْفَ أذْهبُ معَكَ إلى منزِلِكَ في الْبحْرِ ؟ !

فقالَ السُّلَحْفاءُ :

- لا تَحْملْ همَّ هذَا . . سوْفَ أَحْمِلُكَ على ظَهْرِى وأَسْبحُ بِكَ حتى هُناكَ ،

ولا تحملْ همَّ الأكْلِ أيَضًا ، فأنا أسْكنُ جزيرةً كلُّها أشْجارٌ مليئةٌ بالفاكِهةِ الطيِّبةِ اللَّذيذةَ ، التى تُحِبُّها ..

فقالَ القردُ :

-الأهَمُّ منْ ذلكَ أنَّنى سأكونُ فى صُحْبَتِكَ طُولَ الْوَقْت ..

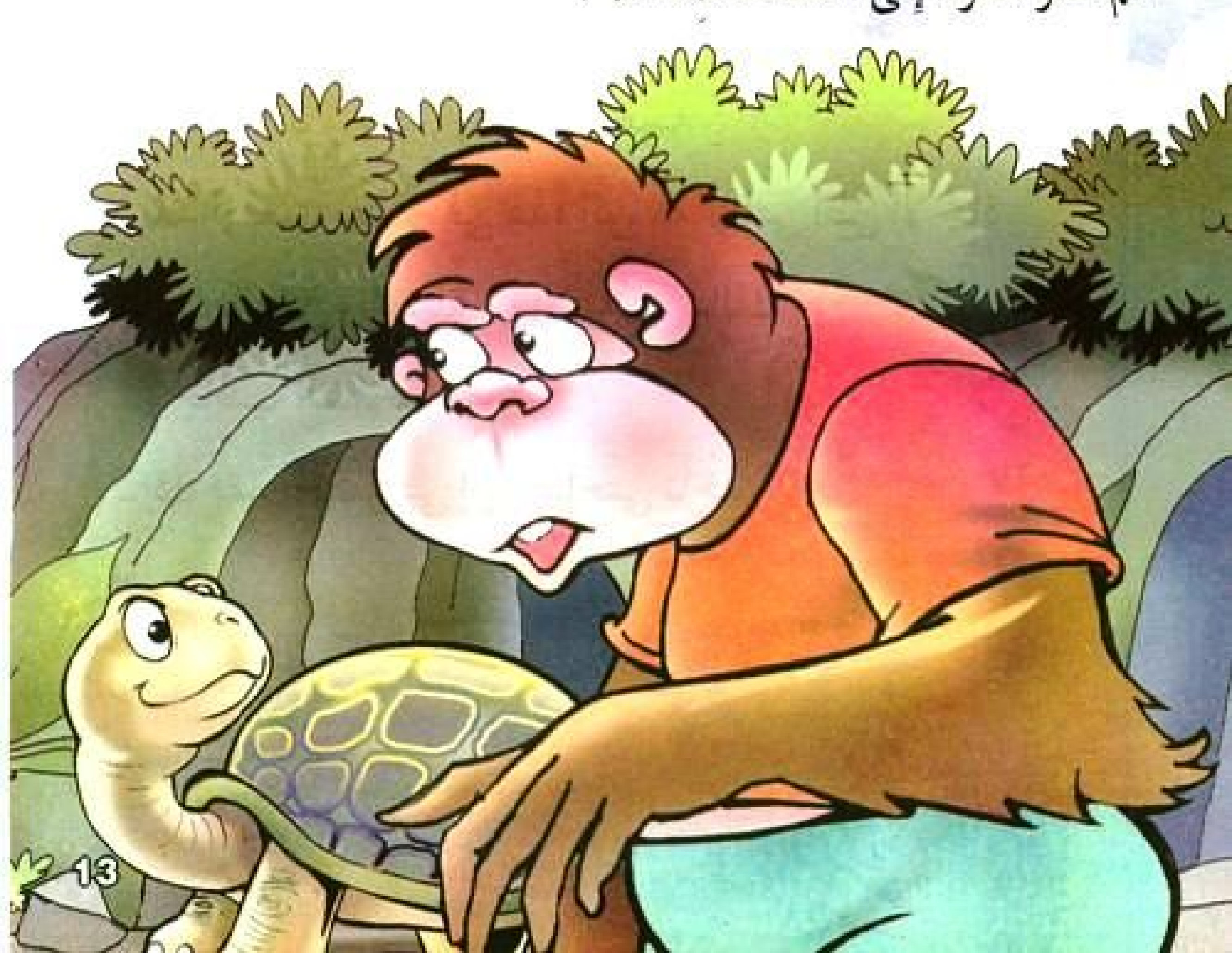
ونزلَ الْقردُ من أعْلَى الشجرة ، فامْتطَى ظَهْرَ صَديقه السُّلَحْفاء وسبحَ به السُّلَحْفاءُ ، حتى وصلَ إلى مُنْتَصَفِ الْبَحْرِ ، وتَذكَّرَ ما هو مُقْبلٌ عليْه من غَدْرٍ وخيانَة ، فانْتابهُ الْحزْنُ و الْهَمُّ ونكَّس رأْسه ، فلمَّا رآهُ الْقردُ حزينا سألَهُ عنْ سببِ حُزْنه وهمّه ، فأَخْبره السُّلَحْفاءُ بأنهُ تذكَّر فجأَةً أنَّ زوْجتهُ مريضةٌ بمرضٍ حارَ فيه الأطبَّاءُ و الحُكماءُ ، فتأثَّرَ الْقردُ من أجْلِ صَديقِه ، ومضَى السُّلَحْفاءُ ،



يواصلُ السّباحةَ بالْقرْدِ ، وبعْدَ قليلٍ توقَّف السُّلحفاءُ عنِ السّباحَةِ ، فبدأَ الشّكُّ يُراودُ الْقرْدَ بأنَّ السُّلَحفاءَ ربّما يكونُ قدْ تغيَّر من ناحيَتِه ، فقالَ في نفْسِهِ :

ـ إنَّ تصرُّفَ السُّلَحْفاءِ معَي صارَ مُريبًا .. منْ يدْريني الآنَ أنَّ قلْبَهُ قدْ تغيَّرَ نَحْوِي ، وأنّهُ ربّما أحضرني إلى هُنا ، وهو ينْوي بيَ شرًّا .. لا شيْءَ أسْرعُ تقلُّبًا وتغيُّرًا من الْقُلُوبِ ، والْعاقلُ هو الّذي يحْتاطُ لكُلِّ أَمْرٍ حتى لا يقَعَ في الْهلاكِ والضّرِّ .. يجبُ أنْ احْتاطَ منَ السُّلحْفاءِ ، حتى أعْلمَ في أيِّ شيْءٍ يفكِّرُ ، وهلْ ينْوي خيْرًا أمْ شرًّا ..

ثم نظر الْقردُ إلى السُّلَحْفاءِ قائلاً :



ـ مالى أراكَ مهموماً مرةً أُخرى ؟! هل جدّ جديدٌ ؟!

فقالَ السُّلَحْفاءُ :

ـ لا همَ يُحزِنُنى أكثرُ من مرضِ زوجتى المِسْكينة ..

فقالَ القردُ :

ـ لمْ يخلُقِ اللّهُ (تعالى) داءً إلاَّ وخَلق له الدَّواءَ ، فَلماذا لا تبْحَثُ لِزوْجَتكَ عن دواءٍ لدى الأطِبَّاءِ ؟!

فقالَ السلحْفاءُ :

ـ هذا صحيحٌ ، وقدْ وصفَ لها الأطباءُ قلْبَ قردٍ .. فشعرَ الْقردُ بأنَّ صديقهُ السلحْفاءَ قد استدْرجهُ إلى الْبَحْرِ حتى يأْخُذَ قلْبه ويقدمهُ لزوْجته ، وقالَ فى نفْسه :

ـ لقدْ أوقَعْتُ نفْسى فى هذه الوَرْطَة ، التى أظُنُّ ألاَّ نجاةَ منها إلاَّ بالْعقل والْحيلَة ، وإلاَّ فإننى هالكٌ ..

ثم خاطَبَ السُّلحفاءَ قائلاً :

ـ إذَنْ فقدْ أحضرْتنى إلى هُناحتَّى تأْخُذَ



قَلْبى وتقدِّمَهُ لزوجتِكَ المْريضَة ؟!

فنكَّسَ السُّلحْفاءُ رأسَهُ ، ولمْ يجْرُؤْ على النَّظرِ إليهِ .. ثم قالَ :

- للأَسَفِ هذا ما فكَّرْتُ فيه ..

فقالَ القْردُ فى دهاءٍ :

- ولماذا لم تُخْبرنى وأنا فى منْزِلى فوْقَ الشَّجرةِ ، حتى أُحْضِرَ قلبى معى ..

فقالَ السلحفاءُ متعجبًا :

- وهل تركْتَ قلْبكَ هُناكَ ؟!

فقالَ القْردُ :

- نعمْ ، فهذه عادتُنا نحنُ الْقُرُودَ ، إذا خرجَ أحدُنا لزيارةِ صديقٍ تركَ قلْبهُ فى منزِله ، إنْ شئْتَ رجعْتُ وأحضرْتُهُ لكَ حتى تقدِّمهُ لزوجتِكَ ..

ففرحَ السُّلَحفاءُ وقالَ في نفْسه :

ـ حمدًا للَّه .. لقدْ وافقَني صاحبي بدُون أنْ أغْدرَ به .. وحملَ السُّلَحفَاءُ الْقردَ عائدًا به إلى شَاطئِ الْبَحْر ، فقفزَ الْقردُ إلى الْبَرِّ وتسلَّقَ الشجَرةَ ، وهو غيرُ مُصدِّقٍ أَنهُ نجا بهذه الْحيلة .. ولمَّا رآهُ السُّلَحفاءُ لمْ ينْزلْ قالَ له :

ـ هيَّا يا صَديقي احْملْ قلْبكَ وانْزلْ ، حتى أُسْرعَ إلى زوجَتي ..

فضَحكَ الْقردُ ساخرًا وقال :

ـ هَيْهاتَ .. هَيْهات .. هلْ أُخْدَعُ فيكَ مرَّتيْنِ ؟! اغْرُبْ عنْ وَجْهي أيُّها اللَّئيمُ ، فقدِ انتهتْ صداقتُنا ..

(تمت)

رقم الإيداع : ٩٠٥٢ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي : ١ ـ ٧٤٠ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

